المدَّاحة

المداحة لها تدرجات ألوان:

الأول: التي تمدح نفسها

تمدح نفسها باستمرار دون أن يسألها أحد، أو يدعو المقام لذلك..!

والعادة جرت بأن يمدحك الناس لا أن تزكي نفسك..

والله أمرنا بالتواضع إذا مُدِحنا فما بالك بمن تمدح نفسها ابتداءً دون حاجة شرعية [1].

قال الله تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ○ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً** ﴾ [2].

(هذا تعجب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم، من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم، من كل من زكى نفسه، بأمر ليس فيه...

﴿ **بل الله يزكي من يشاء** ﴾ أي: بالإيمان والعمل الصالح، بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة) [3].

---

(١) لمعرفة الحالات التي يجوز فيها المدح لمصلحة شرعية، انظر كتاب (تقويم الذات)، د. عادل الشويخ.

(٢) النساء : ٤٩.

(٣) تفسير ابن سعدي، ص ١٤٧، باختصار.

المرأة التي تمدح نفسها بكثرة في الغالب تحمل صفات الشخصية النرجسية، أي تجمع بين : (العُجب، الكبر، الأنانية)

ولها علامات واضحة منها [١] :

١- المبالغة في تلميع نفسها وإظهار ما عندها بأحسن صورة في الملبس والمقتنيات ونحوها.

٢- تمدح نفسها بتكرار واستمتاع (مباشرة أو غير مباشرة) بمناسبة أو بدون مناسبة كما تثني على أهلها وبلدتها وقبيلتها وأولادها وزوجها وتولع بالمفاخرة خوفاً من استصغار الناس لها.

٣- تستمتع وتتلذذ بثناء الآخرين عليها ومدحهم لها وترتفع بذلك معنوياتها.

٤- تكثر من لفت الأنظار إليها وتريد أن تكون محط اهتمام الناس.

٥- الإدعاء والافتراء بأن لديها من الممتلكات والقدرات والإنجازات شيئاً كبيراً متميزاً على غيرها.

٦- تبالغ في طموحاتها وأفكارها وأحلامها وتدعي الذكاء والعبقرية.

٧- المبالغة في الكلام والتوسع فيه لتلميع الذات وأحياناً دون احتراز واحتياط ممن يعلمون حقيقة حالها.

٨- قد تمدح الآخرين من باب إعجابها بنفسها كأن تقول: (فلانة طيبة جداً زارتك وأنت مريضة إكراماً لي لأنك قريبتي).

٩- رد الحق إن كان يقلل من شأنها.

١٠- شدة الكبرياء خصوصاً على من هم دونها من الضعفاء والمساكين.

١١- الميل إلى المفاخرة حتى بتوافه الأمور.

١٢- تمقت كل من ينتقصها ولو كان ناصحاً لها.

١٣- لا تعترف بخطئها استكباراً وعلواً على الناس.

---

(١) ما تحت الأقنعة، ص ١٣٩، بتصرف واختصار.

١٤- تحسد الناس بدرجة كبيرة وتتمنى أن ينخفضوا لترتفع هي.

١٥- تتوهم أنها محسودة يبغضها الآخرين لتفوقها عليهم.

١٦- تنسب لنفسها إنجازات غيرها وحسناتهم.

ولا يشترط أن يكون فيها كل الصفات السابقة، ولكن أكثرها موجود بالتأكيد..

الثاني: التي تمدح تدينها (رياء وسمعة)

وهي أخطرهن على نفسها، قال الله تعالى: ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ [١].

(أي تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح عندهم، فإن التقوى محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئاً) [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار...) [٣].

(١) النجم : ٣٢.

(٢) تفسير ابن سعدي، ص ٧٦٣.

(٣) الفوائد لابن القيم / ١٦٨.

الثالث: التي تمدح غيرها فتبالغ أو تكذب

كثيرون الذين يعجبهم المدح ويؤثر فيهم بعمق فيجعلهم يحترمون الأشخاص الذين يمدحونهم ويحرصون على موافقتهم..!

فهل يمكن أن يكون المدح طريقة للاستغلال والخداع ..؟

نعم.. إنها من أعجب طرق الابتزاز التي يستخدمها البعض مع الأشخاص الذين يتأثرون بالمدح ويصدقونه مباشرة دون أن يسألوا أنفسهم هل هو حقيقي.. وبالقدر المعقول؟ أم مبالغ فيه.. وغير صحيح؟.

قد يمدح شخصاً غيره لحاجة دنيئة في نفسه، لدرجة أن الممدوح يعلم أن ما امتدح به غير موجود فيه، أو أن ما قام به أمر عادي لا يستحق كل هذا التمجيد والإطراء، فيعلم أن المادح يستخف بعقله لينال مأربه..

(من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك، ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك) [١].

ولا يفطن لهؤلاء إلاّ القليل من العقلاء، ويقع في حبائلهم الكثير من السذج والبسطاء، وهم الذين تستنزف أموالهم أو جهودهم ويتم استغلالهم بطريقة سيئة..

والمدّاحة من النساء تعرف المدخل لقلوب بنات جنسها، فهي تمتدحكِ في: جمالك،لباسك، دينك، نسبك، أخلاقك بشيء تعلمين أنت وتعلم هي أنه (غير صحيح)، أو صحيح لكن طريقتها في المدح تصل إلى (المبالغة والتعظيم)..!

فتقع في شراكها خفيفات العقول، حيث يصدقنها ثم يصبن بالحياء منها، فإذا طلبت نفذن، وإذا قالت أطعن، ويحرصن على عدم إغضابها لئلا يتغير رأيها فيهن فيخسرن ثناءها ومدحها الذي لم يسمعنه من أحد في حياتهن، فهو يشعرهن بالتقدير والاعتزاز وتحقيق الذات (وصادف قلباً خاوياً فتمكنا).

(١) تقويم الذات، ص ٣٠.

أهداف المرأة المدّاحة:

العلة هنا أن المدّاحة تستخدم المدح لأهداف سيئة، لا لرفع المعنويات، ومداواة الجروح، وإعادة الثقة بالنفس.

ولكن لاستغلالك: مادياً أو معنوياً، ربما لتسَاعديها على الباطل، أو لتحصل منك على أشياء تريدها، فتحرجك عن معارضتها بمدحها لك، فهناك من تمدحك بأنك تحفظين السر لأجل أن تسكتي عن أخطائها الكبيرة..!

وهناك من تمدحك بأنك متعاونة وحيوية كي تتعاوني معها على الإثم والعدوان..!

وهناك من تمدحك بأنك كريمة لتستغلك مادياً..!

والشخصية الواثقة من نفسها تعلم بأنها ليست بحاجة للمدح الكاذب أو المبالغ فيه، ولا ترضى أن يتلاعب أحد بمشاعرها بمدح سامج تصدقه ويطير قلبها معه، والمادحة تقول في نفسها: (ساذجة هذه صدقت كلامي، ما أسهل خداعها)..

(والإنسان يهلك إذا خاف مذمة الناس وأحب مدحهم ومضرة ذلك أن حركاته كلها تكون موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاءً للمدح وخوفاً من الذم..!

وإن كانت الصفة التي مُدحتِ بها غير موجودة فيك ففرحك بالمدح غاية الجنون.. وهذا مثل من يهزأ به إنسان فيثني عليه بالصلاح والورع فيفرح والله مطلع على خبائث باطنه.

وإذا مُدحتِ كذباً فينبغي أن يغمكِ ذلك ولا تفرحي به، المهم أن يمدحكِ الله ويثني عليك، فما ينفعك ثناء الناس ومدحهم إن كان الله يبغضكِ ؟..

فأنت أدرى بحالك فلا يغرك المدح وتفرحين به بل تواضعي لله ولا تدعي الكمال) [١].

قال رسول الله ﷺ: « إذا رأيتم المدّاحين، فاحثوا في وجوههم التراب» [٢].

---

(١) أمراض النفوس، ص ٢٠٨، بتصرف واختصار.

(٢) مسلم (٤/٢٢٩٧).

(لقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين عن المدح في الوجه أنه إذا كان يحصل بذلك مصلحة تنشيط على الخير والازدياد منه والمداومة عليه أو أن يقتدي به غيره يكون المدح مستحباً وإلا فلا.

والنهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يُخاف فتنته فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وُصفَ به).

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مراراً. ثم قال: « من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه» [1].

كيف تعرفين المدّاحة..؟

لكي تميزي بين المدح الصادق المعتدل والمدح الكاذب أو المبالغ فيه الذي يهدف لاستغلالك انتبهي فقط لهذه الأمور:

١- كل إنسان يعلم مزاياه عادة، فعليه أن يعمل عقله في كل مدح يسمعه ولا ينجرف مع عواطفه.

٢- قرائن أحوال الأشخاص الذين يمتدحونك تنبئك عنهم، هل هم من أهل الصدق والاعتدال أم من أهل المبالغة والتهويل والكذب وذلك يتضح من معاشرتهم.

(١) البخاري (٣/ ١٥٨).

٣- المدّاحين أحياناً يخبرونكِ بتلاعبهم بأشخاص غيرك حيث قاموا بابتزازهم عن طريق المدح الكاذب.

ثم إذا جاء دورك للأسف أنك لا تربطين بين واقع حالهم وبين ما يقومون به معك الآن..!

إنهم يكررون معك نفس اللعبة الدنيئة التي مارسوها مع غيركِ، ثم يضحكون عليكِ فيما بينهم..

سبحان الله! ألا تعلمكِ التجارب..؟

إن بعض الناس يريد أن يصدق المداحين وهو يعلم كذبهم.. وسيدفع الثمن إلى أن يدرك أنه ضحية، وربما يكون ذلك متأخراً..!